الإصلاح.. وكيد المفسدين

- **أعظم خصلة يتفق عليها أعداء الحق الانشغال بذات القائل عن رسالته والاستهزاء به** ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (يس: ٣٠).
- **الاستهزاء والسخرية لم تمدح في القرآن إلا عند المقابلة بالمثل** ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ (هُود: ٣٨).
- **الاستهزاء لا يليق بالصادقين، ولكنه نعمة يُخرج الله به عقائد المنافقين** ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾ (التوبَة: ٦٤).
- **لا تدع الحقّ لأجل الاستهزاء به، فمن علامات الحقّ سخرية أهل الباطل منه ومن صاحبه** ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (الحِجر: ١١).
- **لم يسلم نبي من الساخرين، ومن سلمت رسالته من ساخرٍ بها ففيه أو فيها قصور عن منهاج النبوّة** ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (الحِجر: ١١).
- **أكثر الناس إنكارًا للحق البيّن الساخرون؛ لأن لذّة السخرية تحجب عنهم لذة المعنى** ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ﴾ (الصَّافات: ١٢، ١٣).
- **السخرية عند الحوار والمناظرة لا توصل صاحبها إلى شيء وإنما تحجب عنه التأمل في الحقيقة** ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٠).
- **الاستهزاء استدراج للضال ليبقى على غيّه، فللاستهزاء متعة تُعمي عن التأمل** ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ (البَقَرَة: ١٥).

obeikandl.com

الأنبياء يطرحون حجج النقل والعقل، ويُقَابَلون بلغة الاستهزاء والتحقير، وهذه اللغة متى وُجدت صرفت العقل عن تأمل عين الحجة إلى أشياء بعيدة عنها.

السخرية عند المناظرة سلاح العاجز، لها نشوة تُشعر الساخر بنصر لا يراه إلا هو، فإذا ذهبت سكرتها عنه استيقظ على الهزيمة.

لا يذكر الله السخرية في القرآن إلا أسلوبًا للعاجزين عن الحجة، ولا تسوغ إلا عند المقابلة بالمثل: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (هُود: ٣٨).

الاستهزاء عند المناظرة ستار يستر به الجاهل جهله عن الأعين ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (البَقَرَة: ٦٧).

الجاهل يستهزئ ليستر جهله، والعالم يتبرأ من الاستهزاء بعلمه ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (البَقَرَة: ٦٧).

أضعف الناس يقينًا برأيه من يقابل الحجة بالاستهزاء، قال الله تعالى عن خصوم نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ (الفُرقان: ٤١) والاستهزاء ملاذ الضعفاء.

الاستهزاء غذاء البقاء لكل قليل الحجة ضعيف الدليل.

الساخر بالحق يُسلّي نفسه ولكن لا يُغير الحق ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ (المطفّفين: ٣٠-٣٢).

أكثر الناس حسرة المستهزئون بالحق؛ لأنه للاستهزاء لذة سرعان ما تزول فيندمون ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (يس: ٣٠).

لبعض العقول جربٌ كجرب الأبدان، تستمتع بالرد كما يستمتع المجروب بالحك، وتزيد كلما زاد، وطبها تركها.

أعظم خطر على الأمة من يشوهون الناصح لدى المنصوح ليُشكك ويعاند فتهلك الأمة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (الأعرَاف: ١٢٧).

- يربطون الفكر بالأفراد فيتشوه لديهم الحقّ تبعًا لما صنعوه من تشويه لأهل الحق ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ (البَقَرَة: ١٣).

- أهل الباطل يهتمون بتقبيح الحق أكثر من تحسين باطلهم؛ لأن تشويه الحق أسهل من تحسين الباطل، فيتبع الناس الباطل لا قناعة به بل هروبًا من الحق.

- يُشوهون عقيدة الحق وأصحابها ليتجمل قبح باطلهم، وقد كانت العرب في الجاهلية إذا زوجوا الفتاة منهم وكانت قبيحة وضعوها في عرسها بين جاريتين سوداوين.

- يحرص المفسدون على تشويه المصلح لأن إسقاطه أهون من إسقاط حججه، فينفر الناس من كل أقواله: ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعرَاف: ١٣٢).

- لا يستطيعون محاربة الإسلام بنفسه، فيحاربونه تحت ستار محاربة تصرفات أهله ونقدها... المنافقون في زمن النبوة سلكوا نفس المسلك.

- كل فكر تريد تشويهه اجمع تشديداته من مواضع متفرقة واسردها على العقول في سياق واحد وكرر ذلك في صور شتى، تتبعك أسراب من العقول تمردًا عليه.

- أقنعهم بأن موسى ساحر تشويهًا ليأخذوا موقفًا من شخص موسى فيغلقوا باب السماع له: ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعرَاف: ١٣٢).

- تشويه المصلحين سُنَّة الظالمين إذا أعيتهم الحجج. قال ابن عباس: كان قوم شعيب يجلسون في الطريق، فيقولون: شعيب كذاب، فلا يفتنكم عن دينكم.

- المصلح يظهر الحجة والظالم العاجز يُهيّج العامة والغوغاء ليستكثر بهم: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ (الشُّعَرَاء: ٥٣-٥٥).

أفضل أدوية ظلم الإنسان، والافتراء عليه وعلى رسالته تجاهل المفترين وفريتهم وعدم التفكير بها، فهذا أطهر لقلبه وأوفر لوقته ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢).

اتهام المصلح بحب الظهور والقيادة تهمة جاهلية للأنبياء، قال قوم نوح له: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون: ٢٤)؛ أي: غايته أن يفوقكم فضلاً.

يتهمون المصلح بأنه يطلب السيادة والسمعة... تهمة قيلت للأنبياء، قالوا عن موسى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (يُونس: ٧٨)، وحذروا من نوح: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون: ٢٤).

يتعلّق قلب الظالم بالسيادة، فيظنّ أن المصلحين ينازعونه إياها، قالوا عن موسى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (يُونس: ٧٨).

إذا امتلأ قلب الإنسان بالجاه، ظنّ أن المصلح ينافسه عليه، قالوا عن نوح: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون: ٢٤).

المصلحون يواجهون رؤوس الباطل والمبطلون يصورونه صراعًا مع الوطن وأهله، موسى يدعو فرعون إلى اتباع عقيدة الحق، وترك البغي، وفرعون يجعلها صراعًا مع الوطن:

- ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه: ٥٧).
- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: ١١٠).
- ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ (طه: ٦٣).

يقاتلون المصلحين حفاظًا على الرئاسة الخاصة ويستترون بحرب دخيل الأفكار ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ (غافر: ٢٦)، وحفظ الوطن ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦).

فرعون هو الذي جمع السحرة من المدينة واحدًا واحدًا ليهزم موسى فلما خالفوه جعلهم خلية مؤامرة رئيسها موسى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ (طه: ٧١).

- **ما من أمة أُهلكت إلا كان فيها ناصحون يُوصفون بالفتنة وشقّ الصف** ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ (الشُّعَرَاء: ٢٠٨).

- **يتهمون المصلحين بتخلّف الأمة ومصائبها:** ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ (الأعرَاف: ١٣١).

- **كل الأنبياء اتهمهم خصومهم (بالتشدد) في العقيدة؛ أي: أن أصل خصوم الأنبياء في الجهة الأخرى وهي (الانسلاخ) لكن يختلفون في نوع الانسلاخ وحجمه.**

- **ينظرون إلى المصلح أنه غارق بآراء الوهم مندفع لها:** ﴿يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (الأنفَال: ٤٩).

- **من وسائل تشويه الحق اتهام أصحابه باختراعه واستحداثه، حتى ينفر الناس منه، وهكذا قال قوم نوح وموسى:** ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٤).

- **عند الظالمين تنقلب الموازين، فيُصبح الإصلاح فسادًا والإفساد صلاحًا** ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأعرَاف: ١٢٧).

- **الظالمون يتهمون الناصحين بالسوء كذبًا ويفعلونه صدقًا، اتهم فرعون موسى بالسحر ثم استعمله ضده** ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ (يُونس: ٧٩).

- **حينما كان السحر لصالحه بحث عنه** ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ (يُونس: ٧٩)، **وحينما رأى فرعون حجة موسى صار السحر عنده فرية** ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾ (القَصَص: ٣٦).

- **تصنيف المصلحين في سلة الأحزاب سهل إذا غابت الحجة وانعدم الدليل، فالتصنيف يختصر المواجهة، أخرج فرعون موسى من سعة المصلحين إلى حزب (الساحرين).**

# # #